

أبعاد النظرية البنائية في العملية التعليمية

محمودي عبد الكريم¹ & محفوظ سارة²

¹ جامعة تيزي وزو، الجزائر.

E-mail : mahmoudi.abdelkrim80@gmail.com

² جامعة البويرة، الجزائر.

– تاريخ الإرسال: 2020-07-25 – تاريخ القبول: 2020-11-28

ملخص

من مراجع التدريس بالكفايات النظرية البنائية في التعلم التي تهدف إلى بناء المعرفة وفق خطوات معروفة و معلومة أسسها "جون بياجيه"، لكن وجدت راجعا عند الكثير من الباحثين أمثاله، لما لها أهمية بالغة في عصرنا الحالي عصر التقانة التكنولوجية، فالتعلم هنا لا ينظر إليه على أنه نقل للمعارف فقط، بل هذه الأخيرة تبنى، في هذا البحث عالجت مبادئ النظرية البنائية، أشكالها، عناصرها، ما يشترط في المعلم البنائي، حيث حاولت الإجابة عن الإشكالية: ما هي امتدادات النظرية البنائية في التعليم والتعلم؟ معتمدا على المنهج الوصفي التحليلي الذي يناسب هذه الدراسة.

– الكلمات المفتاحية: النظرية، البناء، العملية، التعلم، الأبعاد.

Dimensions of structural theory in the educational process

Abstract

Among the references of teaching the constructive theoretical competencies in learning that aim to build knowledge according to known steps and information founded by (John Piaget), but found a lot of researchers like him, because it is of great importance in the current era of technological technology, in this research dealt with the principles of theory Structuralism, its forms, its components, what is required in the structuralist teacher, where she tried to answer the problematic: What are the extensions of constructivism? Based on the descriptive analytical approach that fits this study.

Keywords: Theory, construction, process, learning, dimensions.

مقدمة

تستند المقاربة بالكفايات التي اتخذتها الجزائر منهجا في التدريس منذ سنة 2003 إلى عدة مرجعيات منها النظرية البنائية في التعلم الذاتي من المتعلم تحت توجيه و قيادة المعلم ، حيث تهدف هذه النظرية إلى أن المعرفة لا تنتقل من شخص يعرف إلى شخص لا يعرف، بل تحدث عندما يقوم المعلم بخلخله معارف المتعلم السابقة، و إعادة بناء تعلمه بنفسه، في هذا البحث نعالج أهم مركبات النظرية البنائية لعمليتي التعليم و التعلم، أي كيف نظرت البنائية لعمليتي التعليم والتعلم؟

1. تعريف النظرية البنائية:

النظرية هي "ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعمال ما ليس بمعلوم، و قيل النظر: طلب علم من علم" (القاضي، 2015) أو هي "إعطاء حكم أو التعبير عن وجهة نظر(ما)، مما يعني أنها تفكير في قضية ما هذا التصور الاجتماعي لمفهوم النظرية، يجعل النظر في مقابل الفعل و العمل، وهو ما يضيف على النظرية بعدا قديما وسلبيا في الوقت ذاته" (القاضي، 2015). فالنظرية في أي علم هي عبارة عن استنتاجات معرفية انطلاقا من بحوث جادة وكبيرة لتخلص في

الأخير إلى نتائج دقيقة وعامة، نطلق عليها اسم النظرية ولا تكون إلا من المتخصصين العلماء الذين كرسوا حياتهم في مجال البحث والمعرفة والتحري، ومن أمثلتها النظرية البنائية، فلم تنضج هذه النظرية إلا بعد جهد جهيدا من طرف صاحبها "جون بياجيه" ومن جاء بعده ووافقه في هذا الطرح.

إن النظرية البنائية ظهرت كنظرية بارزة للتعلم في العقد الماضي نتيجة لأعمال "ديوي، وبياجيه، وبيرونز، وفيجو تسكي، الذين قدموا سوابق تاريخية للنظرية البنائية والتي تمثل نموذج الانتقال من التربية التي تستند على النظرية السلوكية إلى التربية التي تستند على النظرية المعرفية (خير، د.ت.). فالبنائية تمتلك جذورا متعددة في علم النفس والفلسفة من وجهة نظر جون بياجيه، أي البنائية ركزت على النشاط، ليس فقط على الاستجابة للمثير كما في السلوكية، ولكن على المشاركة والبحث لصنع المعاني، فالتعلم لا يتلقى المعرفة بل يبنينا بمفرده حتى يهضمها جيدا ثم يطلب منه أيضا توظيفها واستثمارها في مجالاته داخل المدرسة وخارجها (خير، د.ت.).

تعتبر النظرية البنائية من "أكثر المداخل التربوية التي يدعو لها المهتمون في الشأن التربوي في العصر الحديث، وهي تشترك مع غيرها من النظريات الإدراكية في كثير من النقاط، إلا أنها تتميز عنها بتأكيدا على توظيف التعلم من خلال السياق الحقيقي، هذا إلى جانب التركيز على أهمية البعد الاجتماعي في إحداث التعلم" (دخل الله، د.ت.). ويقصد بالبعد الاجتماعي أنّ بناء التعلم في محيط اجتماعي ما، يجب على هذا التعلم خدمة المجتمع، أي المدرسة والمعلم ينتجان ما يتطلبه المجتمع، أي أن البنائية لا تفصل بين المدرسة والمجتمع، بل هي تدعو إلى التكامل المعرفي والتعلم الذاتي من خلال الدور الإيجابي للمتعلم ونبذ السلبية فيه، وتبعث فيه روح النشاط والبحث والتنقيب والمقارنة وعدم الاستقبال دون بذل المجهود الذي يثري المعرفة ويزينها عنده. وعلى الرغم من أن الفلسفة الرئيسة للبنائية تنسب إلى "جون بياجيه" إلا أن هناك غيره من طوّر هذه النظرية وساهم في البحث فيها.

2. مبادئ النظرية البنائية في التعلم

- من أهم المبادئ ما يلي :

أ. التعلم "لا ينفصل عن التطور التأملي للعلاقة بين الذات والموضوع، أي التعلم يقترب باشتغال الذات على الموضوع، وليس باقتناء معارف عنه، الاستدلال شرط لبناء المفهوم، حيث المفهوم يربط العناصر والأشياء بعضها ببعض والخطاطة تجمع ما هو مشترك وبين الأفعال التي تجري في

لحظات مختلفة، وعليه فإن المفهوم لا يبنى إلا على أساس استنتاجات استدلالية تستمد مادتها من خطوات الفعل " (القاضي، د.ت.).

فلا يمكن أن نعلم معارف المتعلم ليس في مستواها، فالتطور النمائي شرطاً ضرورياً لبناء المعرفة للمتعلّم فلا بد أن نحقق انسجاماً وتكافؤاً بين ذاتية المتعلم وقابليته للتعلم وبين المادة المعرفية التي نعلمها له، بعدما يحدث الانسجام بين الذات والموضوع، نتحدث فيما بعد عن خطوات بناء المعرفة انطلاقاً من التقويم التشخيصي إلى التقويم التكويني أو البنائي، وخلال هذه المراحل لا بد أن يتخللها الاستدلال الذي هو وسيلة في تقديم الأدلة العلمية حتى يتم التوصل إلى إثبات فرضيات أو نفيها. واستخلاص مفاهيم واستنتاجات بعد البناء المعرفي، الذي ينافي الاستقبال المعرفي ويتجاوز ويغلبه من الطرق القديمة التقليدية التي لا تخدم الإنسان في عصر التكنولوجيا وعصر العالم قرية صغيرة أمام المتعلم. كما يشترط البناء المعرفي الفهم، فلا يمكن بناء المعارف دون فهمها وهضمها، هذا ما عيّنت عليه النظرية الكلاسيكية التي تقوم على الحفظ والتلقين، وإرجاع المعلومات يوم الامتحان دون استيعابه جيداً.

ب. المعرفة "لا تستقبل بجمود ولكنها تستقبل بفعالية، وإدراك الموضوع، بمعنى أن الأفكار والحقائق لا توضع بين يدي الطلبة وعليهم بناء مفاهيمهم" (داود، 2016). انطلقت البنائية من أساس بيّن، هو أنّ المعرفة لا يمكن تقديمها للمتعلّم جاهزة، والسبب في هذا هو أنها لا تبقى في ذهنه مدة طويلة من الزمن، لأنه لم يتعب في تحصيلها وهذا عيب في النظرية السلوكية كما أشرنا سابقاً، فالمعلم داخل الصف موجه وقائداً وظيفته الأساسية التوجيه، وخلق بيئة تفاعلية بين عناصر العملية التعليمية التي هي: (المعلم، المتعلم، المادة التعليمية...)، من خلال التقويم وطرح الأسئلة حول كل نقطة من نقاط الدّرس ويترك الأجوبة تنتقل بين المتعلمين إلى أن يبنى المتعلم المعرفة ذاتياً وعبر خطوات متتالية، هنا هذه المعرفة المبنية ستضل في ذهن المتعلم طوال حياته، لأنّه بناها بنفسه، عكس التي تعطى له جاهزة.

ج. فعل المعرفة "تكتفي من خلال تنظيم العالم التحريبي، وأننا لا نجد الحقيقة، ولكننا نبني تفسيرات لخبرتنا، أي بمعنى آخر، لا نملك معرفة الحقيقة دائماً عن العالم المحيط، لكن يمكن معرفة العالم المحيط من خلال الخبرات" (داود، 2016). فالمتعلم يمتلك المعلومات المكتسبة السابقة وهذه الأخيرة لا تكون صحيحة مطلقاً، أي فيها المغلوطة والصحيحة، من خلال العالم المحيط وخبراته وتجارب، تهدف البنائية هنا إلى زعزعة هذه المعارف المسبقة وإخضاعها للتجارب،

وتصفيتها وتنقيحها في النهاية، أي أن البنائية تسعى إلى إزالة كل ما هو مغلوط، والاحتفاظ بما هو صحيح في ذهن المتعلم البنائي وتوظيفه حتى يتركز في ذهنه، وتكون له منفعة أكثر في نفسه وفي مجتمعه، فالمعرفة إذا لم يستثمرها المتعلم فإنها تبقى عنده مبتورة، مثلاً: المتعلم إذا فهم واستوعب نصاً أدبياً درسه، لابد و يجب عليه أن يستثمره، أي يؤلف نصاً من إنشائه على منوال هذا النص المدروس.

د. معرفة المتعلم السابقة "هي محور الارتكاز في عملية التعلم، وذلك كون المتعلم يبني معرفته في ضوء خبراته السابقة" (داود، 2016). أي تدعو البنائية إلى أنّ المعلم لا يمكن له أن ينطلق في درسه إلا إذا شخص المعلومات السابقة عند المتعلم، عن طريق التقويم التشخيصي، أي يطرح عدة أسئلة من خلالها يعرف مستوى المتعلمين، وهيئتهم لاستقبال تعلم الدرس الجديد، ثم بعد ذلك يشرع في تدريسه إلى النهاية فلا يمكن أن ندرس درساً للمتعلم دون فحص المعرفة السابقة له.

هـ. أن المتعلم "لا يبني معرفته بمعزل عن الآخرين، بل بينهما من خلال التفاوض الاجتماعي معهم" (داود، 2016)، فالمعلم داخل الصف بالطبع لا يتعامل مع متعلم بمفرده، بل يعلم مجموعة من المتعلمين أثناء عملية التدريس، وفي مواجهة مشكلة معينة تحدم الدرس، على المعلم أن يوجه مختلف الأسئلة للمتعلمين ويترك لهم الحرية للإجابة، ويثير فيهم روح النقاش والتفاوض أي يصبح المتعلم يصحح أحياناً لزميله المتعلم، تحت توجيه وقيادة المعلم الذي يدير هذا الموقف التعليمي، هذا التفاوض والنقاش والجدال بين المتعلمين يؤدي في نهايته إلى بناء معرفة ذاتية لديهم انطلاقاً من مساهمتهم جميعاً كمجتمع تعليمي، لذلك نقول أن الصف في علم الاجتماع هو مؤسسة اجتماعية أي لا يمكن للدولة أن تنجز مدرسة لكل متعلم.

ز. أن التعلم "يحدث على أفضل وجه عندما، يواجه الفرد المتعلم مشكلة أو موقفاً أو مهمة حقيقية واقعية" (داود، 2016). أي تدعو البنائية إلى أن من واجب المتعلم قبل تدريسه لأي درس، أن تتم صياغة الكفاءة الختامية لهذا الدرس في وضعية مشكلة، وتكون هذه الأخيرة مستنبطة من واقعه الذي يعيش فيه على شكل سؤال واحد، ويسجل مجموعة من الفرضيات، بعدها يسعى المعلم بمعية المتعلمين في بناء التعلم بخطواته إلى الإجابة عن هذه المشكلة من طرف المعلم بنفسه، فالبنائية تدعو إلى التعلم وتستعين في نفس الوقت بطريقة حل المشكلات في التدريس وتستثمرها.

ح. أن عملية التعلم تتمركز "حول مفاهيم أساسية، فالصف البنائي يركز على المبادرة في التساؤل والتفاعل المتكرر بين المعلمين أكثر من التركيز على المنافسة والانزعاج" (داود، 2016). حيث من العيوب التي عيبت على السلوكية في التعلم هي جمود المتعلم وسلبيته، وعدم إبداء رأيه في التعلم، فهو مستقبل فقط للمعلومة بطريقة إلقاءية، فالبنائية تفكر في كل هذا وتنقده، وتبحث على الحيوية بين المعلمين، وبعث فيهم روح التساؤل من أجل الفهم والاستفسار والشك في المعلومة، لأن الشك في التعلم يؤدي إلى الحقيقة وتدعو إلى خلق الحوار العلمي الذي كان غائبا عند المدرسة السلوكية، فالمعلم آنذاك كان يلقي الدرس ويخرج وانتهى، فزمن هذا الإلقاء انتهى.

ط. السعي "لمعرفة وجهات نظر المعلمين وتقديرها فالعمل على فهم وجهات نظر المعلمين ضروري في التربية البنائية" (داود، 2016). حيث تشجع البنائية المعلمين أثناء التدريس بأن يهتموا بوجهات نظر المعلمين، ولا يتم إقصائهم في بناء التعلم، بل يسمع جميع آرائهم ويحللها ويفسرهما ويقومها، انطلاقا من هذه الآراء يصل المعلم بمعية المتعلمين إلى تحقيق التعلم وهو إحداث تغيير في سلوك المتعلم، أي الانتقال من حالة الجهل بالمعرفة إلى حالة العلم بها. ولا نتوقف عند هذا بل أيضا يوظفها ويستثمرها، أي البنائية تدعو إلى تعلم المعرفة ثم استخدامها، وهذا ما ينقصنا نحن في البلدان العربية، أي لا نستثمر في تعلمنا.

ك. تحت البنائية على "تقييم تعلم المعلمين في سياق التدريس، فطرح أسئلة ضيقة يبحث المعلم عن إجابة محددة يحرم المعلمين من إعادة النظر في عقول المتعلمين" (داود، 2016). أي لا يمكن أن تفصل البنائية أو غيرها من نظريات التعلم بين عملية التعلم والتعليم من جهة، وبين عملية التقويم، فالتقويم شرط أساس لبناء التعلم، صحيح السلوكية تهدف إلى تطبيق التقويم في نطاق ضيق لكن البنائية تهتم به أكثر. حيث قسمته إلى ثلاثة أقسام: التقويم التشخيصي يتم في بداية التدريس، يقوم المعلم بتشخيص المكتسبات القبلية للمتعلمين، من خلالها يعرف كيف ينطلق في الدرس الجديد، وهناك التقويم البنائي أو التكويني يحصل هذا خلال عملية التدريس، يعني في كل خطوة من خطوات الدرس يصاحبها المعلم بالتقويم لكي يعرف مدى فهمهم لهذه الخطوة، من أجل الانتقال للخطوة الموالية والتقويم الثالث هو التقويم التحصيلي أو الختامي، يكون هذا في نهاية الدرس المدروس، فأداة قياس التعلم هو التقويم أي طرح الأسئلة ويقصد بالتقويم تبيان الخطأ وتصحيحه وتعديله.

ل. تهدف البنائية إلى "بناء المعارف الجديدة على الخبرات والمعارف السابقة للمتعلم، أي أنه لا بد من بناء جسور بين معارف المتعلمين السابقة والمعارف الجديدة" (داود، 2016). فمن مسلمات البنائية وغيرها من النظريات المعرفية أنه لا يمكننا أن نتعلم معرفة جديدة إلا إذا اتكأت على معرفة سابقة، فالخبرات السابقة هي محرك من أجل فهم معرفة جديدة، وهذه الأخيرة أيضا ستكون معرفة سابقة لمعرفة قادمة، فالمعارف التي يكتسبها الإنسان أو المتعلم هي سلسلة مترابطة ومتسعة عبر حياته، فالمتعلم عندما نعلمه دائما نشخص معلوماته السابقة ونربطها بالمعلومات الجديدة، حتى يحدث نموا معرفيا لدى المتعلم، كأن ننتقل في تعلمه من الأسهل إلى السهل إلى الصعب ثم الأصعب.

م. من مبادئ البنائية "أن يتم تشجيع المتعلمين على استراتيجيات متنوعة لحل المشكلات قبل الوصول إلى الإجابة أو الخاتمة" (داود، 2016). أي أن المتعلم لا يمكن أن نخطط معنوياته أثناء التعلم، بل نشجعه، ونقبل منه كل الإجابات سواء كانت صحيحة أو خاطئة، عندما نواجه مشكلة تعليمية، لهذا شُرعت البنائية التقويم، يعني من أجل التشجيع على المشاركة في الدرس، وتنوع مساهمة المتعلمين في حل المشكلات، فالمتعلم إذا لم يشجع يشعر بالملل وكره العلم والتعلم، عندئذ نقول أن هذا المعلم فشل في تعليمه، أي لم يأخذ بيد المتعلم خاصة المتأخر إلى بر العلم والمعرفة، أي من هذا المتأخر نصنع الطبيب والمهندس والعالم الذي ينتظره الغد.

3. أشكال البنائية في التعلم

أ. البنائية الشخصية

تعد من أبسط صور البنائية "وهي ترى أنّ المعرفة القلبية للمتعلم ذات أثر جوهري في بناء التعلم النشط للمعرفة وأن نظام التعلم يركز أساسا على توالي الأفكار من البسيط إلى المعقد" (خير، د.ت.). معنى هذا أن البناء المعرفي للتعلم ينطلق أساسا من المعرفة القلبية، ثم تتدرج المعرفة لديه عبر مختلف المراحل والتطورات.

ب. البنائية الجذرية

تقوم على مبدأ أنّ البنيات الذهنية "المبنية من خبرات الماضي تساعد في ترتيب تدفق الخبرات المستمرة، ولكن عندما تفشل هذه البنيات في عملها، إما لضغوط داخلية أو خارجية، فإنّ هذه البنيات تتغير من أجل محاولة التكيف مع الخبرة الجديدة" (خير، د.ت.).

ج. البنائية النقدية

هي "معرفة اجتماعية تخاطب السياق الاجتماعي الثقافي لبناء المعرفة، ويتضح دورها كمحرك، ومرجع للإصلاح الثقافي، ويستفاد من هذه النظرية كإطار فكري من أجل العمل على تنمية عقلية مفتوحة دائمة التساؤل من خلال التحوار والتأمل النقدي للذات" (خيري، د.ت.). هنا البنائية تزوج بين عملية بناء المعرفة مع النقد، أي لا يمكن للمتعلم أن يتقبل أي معرفة دون نقدها وتفحصها، هذا من أجل بعث الروح النقدية للمتعلم، فينشأ عليها، فالنقد يهدف إلى جني مختلف الأفكار داخل الصف، فأحياناً المتعلم ينقد ويتحصل على أفكار مهمة تخدم التعلم، قد تكون في الكثير من المرات نجدها غائبة عند المعلم، وبالتالي يستفاد منها جميع المتعلمين.

د. البنائية التفاعلية

يقصد بها أن المتعلم "يبنى معرفته عندما يكون قادراً على التفاعل مع العالم الفيزيقي من حوله، ومع غيره من الأفراد، أما الملمح الخاص للبنائية التفاعلية فيتمثل في أن المعنى يُبنى عندما يتأمل المتعلم تفاعلاته، وعندما يتوفر للمتعلم الوقت للتفاعل والتأمل، مما يساعده على ربط الأفكار القديمة بخبراته الجديدة" (خيري، د.ت.).

فالبنائية تشترط أن يحدث التفاعل أثناء العملية التعليمية التعلمية وهي: (المعلم، التعلم، المادة التعليمية، الموقف التعليمي، التغذية الراجعة)، كما تحث على وجوب التفاعل أيضاً بين المتعلمين ومعلمهم أيضاً، أي لا تقبل الجُمود والهدوء الممل والتقبل المعرفي دون تفاعل، لأنّ هذا التفاعل يساهم في تطور النمو المعرفي لدى المتعلمين، أي عكس النظرية السلوكية التي تهدف إلى إبعاد التفاعل بين المتعلمين، وتشجيعهم على الاستقبال السلبي دون الإيجابي.

4. العناصر الأساسية للتعلم البنائي

أ. المتعلم عندما يقبل إلى التعلم، لابد له أن تكون له معارف مسبقة، والمعلم البنائي أول خطوة مطالب بها، هي تحفيز وخلق هذه المعارف المسبقة للمتعلم، الهدف من هذه العملية في النهاية، هي تصفية المعارف الصحيحة من المعارف المغلوطة، فالبنائية تعتقد أنّ المتعلم لا يخلو من المعارف المغلوطة، ولذلك تعمل على الربط بين المعارف المكتسبة والمعارف الجديدة، عن طريق طرح الأسئلة والتنوع فيها وتلقي التغذية الراجعة من المتعلمين.

ب. اكتساب المعرفة حيث "يقاس التعلم، كل تعلم نظامي أو غير نظامي، بمدى المساهمة التي يقدمها في تنمية قدرات المتعلم وفي إكسابه المعارف والمهارات، وفي إتقانه الكفايات وفي تكوين بنائه الفكرية القائمة على الاستراتيجيات التي يستثمرها في تعلمه الآني والمستقبلي، ولكي يكون هذا التعلم مجديا عليه أن يبنى على كل ما هو علمي، مبتعدا عن كل ما من شأنه إضاعة وقت المتعلم بأمور غير ذات قيمة علمية" (الصياح، 2015). فالبنائية تهدف إلى اكتساب المعرفة انطلاقا من المعارف والمهارات المخزنة لدى المتعلم من خلال بناءه للتعلم الذاتي الذي يستثمره لاحق.

ج. كلما زاد المعلم عن تحفظه التعليمي، كلما دفع المتعلم إلى الاعتماد أكثر فأكثر على الوسط التعليمي، بمعطياته اللغوية والمادية في حقيقتها ورمزيتها، أي يترك المعلم الفرصة للمتعليم من أجل حل مشاكله التعليمية ذاتيا، ولا يعطي الأجوبة الصحيحة إلا للضرورة، أي في حالة عدم وصول المتعلمين إليها.

د. يرى المنظور البنائي المعرفة على أنها "عضلة تنمو مع استخدامها ولذا يطلب المعلم الذي يستخدم هذا المنظور من المتعلمين، أن يضعوا معرفتهم لاستخدامها ضمن السياق الخاص، بحل المشكلات الواقعية والجادة، تهدف الفكرة إلى أن المتعلمين في سعيهم لتطبيق معرفتهم على مشكلة معينة، سيبحثون بشكل تلقائي في تلك المعرفة" (تيموني وآخرون، د.ت.)، فالبنائية تحفز استخدام المعرفة الموجودة في ذهن المتعلم وعصفها ذهنيا، فكل معرفة تخدم معرفة لاحقة وهكذا.

هـ. يؤكد نموذج التعلم البنائي على "ربط العلم بالتقانة والمجتمع ويسعى إلى مساعدة التلاميذ على بناء مفاهيمهم العلمية ومعارفهم، من خلال أربع مراحل مستخلصة من مراحل دورة التعلم الثلاث (استكشاف المفهوم، استخلاص المفهوم، تطبيق المفهوم)، وهذه الأربع مراحل هي: مرحلة الدعوة، مرحلة الاكتشاف، مرحلة اقتراح التفسيرات والحلول ومرحلة اتخاذ القرار" (صالح، د.ت.). ففي عصرنا الحالي لا يمكن الفصل بين المعرفة والتقانة، لأننا نعيش عصر التكنولوجيا في التعلم البنائي، حيث تترك الحرية للمعلم والمتعلمين في كيفية توظيف بعضها، وما يكون مناسباً كأن نستعمل جهاز (الفيديو) لتعلم نطق لغة أجنبية، أو مشاهدة شريط يصور لنا كفاح الشعب الجزائري ضد الفرنسيين، كل هذه الوسائل التعليمية تثير عملية التعلم.

و. إنّ نظرية بياجيه (البنائية) من "النظريات المعرفية التي تنتمي إلى المدرسة المعرفية، التي تهتم بشؤون المتعلم وتثير حوله العديد من التساؤلات منها: كيف يتعلم؟ وكيف يتذكر معارفه، وعمّ

يختلف فرد عن فرد آخر في معارفه بالرغم من أنهما خضعا لنفس الظروف التعليمية؟ وكيف؟ وتضم المدرسة المعرفية نظريات عديدة، ولعل أبرزها نظرية (بياجيه) التي تؤكد أهمية البيئة المعرفية كعمليات إجرائية عقلية في العملية التعليمية" (دخل الله، د.ت.).

فالبنائية حديثا لا تعلم المتعلم، بل تعلمه كيف يتعلم؟ لأنه عندما نعلمه الكيفية سيتعلم بنفسه في أي مكان، مادام مسلح بالكيفية، ويتعلم بتوظيف كل ما يجده أمامه من الوسائل التعليمية، بتوظيف الحاسوب، التلفاز، والاحتكاك مع الأهل وأفراد الأسرة ومع الوالدين وغيرهم. فتدعو البنائية إلى الاهتمام وتطوير أسلوب الطلاقة اللفظية داخل الصف، لأنها من أساسيات التعلم البنائي، فالبنائية لا تحتاج متعلما حجولا، بل تتطلب نشاطا حيويا عند المتعلمين، وتطلب أيضا نشاطا كذلك من المعلم، أي أن المعلم البنائي تشترط فيه الحيوية والبحث والتحري والاجتهاد من ناحية الكم والكيف معا.

فالبنائية تضم حيوية الثنائية (المعلم/المتعلم)، إذا اختل ركنا منهما، يمكننا القول بأن التعلم غابت عنه البنائية، حيث "ينبغي على الطلبة بعد مشاركتهم في أسلوب الطلاقة اللفظية الثنائية تحديد القضايا التي لم يتوصلوا إلى حلول بشأنها أو الصعوبات من قبل المعلم من خلال مزيد من تنمية الاستيعاب المفاهيمي للطلبة عن طريق المناقشة الصفية أو تعريضهم لخبرات تعليمية إضافية" (كليكي، 2013).

هـ. **التقويم البنائي** - من أهدافه: "تشجيع التأمل والتقويم الذاتي المستمر للمعلم والنمو المهني الفردي في مجال اهتمامات المعلم، وتحسين معنويات المعلم ودافعيته من خلال معاملته بوصفه مهنيا مسؤولا عن نموه المهني، وتشجيع الزمالة والمناقشات بين المعلمين حول الممارسات العملية ودعم المعلمين عندما يحاولون تعليمية جديدة" (الحروب، 2019).

5. ما يطلب من المعلم البنائي

يطلب منه ما يلي (زيتون، 2010):

- يستخدم مصطلحات معرفية تعكس المنظور المعرفي للتعلم.
- يسمح للاستجابات المتعلمين بتوجيه سير الدروس وتحفيزها وتعديل استراتيجيات التدريس وتغيير المحتوى.
- يسعى لتطوير الاستجابات الأولية المبدئية للطلاب وتشكيلها وإعادة صياغتها بصقلها وتحذيقها.

- يسمح بزمان انتظار "تفكير" كاف قبل طرح الأسئلة وتلقي الإجابات والتعليقات.
- يغذي ويعزز الفضول الطبيعي وحب الاستطلاع العلمي لدى الطلاب من خلال استخدام نماذج دورات التعلم.
- المعلم البنائي يحاول أن يقود الطالب وييسر تعلمه إلى بناء فهم جديد، واكتساب مهارات جديدة.

- خاتمة

يمكن الخلوص في نهاية هذا البحث إلى: أنّ النظرية البنائية في التعلم جاءت كرد فعل ونقد على النظرية السلوكية، التي تدعو إلى تعليم المتعلم، وانتقال المعرفة هنا من شخص يعرف الذي هو المعلم إلى شخص لا يعرف الذي هو المتعلم، وحشو عقله بالمعارف دون تطبيقها واستثمارها، أو دون أن يبذل المتعلم أيّ جهد حول تحصيلها. فهو مستقبل للمعرفة سلبيا، كل هذه الأفكار نقدتها البنائية حيث قالت: لا بد من تعليم المتعلم ليس المعرفة، بل تعلمه كيف يتعلم المعرفة؟ لأنّ حاليا المعرفة موجودة في كل مكان، ثم أيضا لا تعلمه الحفظ فقط للمعرفة، بل تعلمه بناء المعرفة بذاته ثم استثمارها، فالمعرفة إذا لم تستثمر، تندثر مع مرور الزمن ولا تعيش وقتا طويلا في ذهن المتعلم، أي أنّ النظرية البنائية هي نظرية معرفية من أساسيات التدريس بالكفايات المطبق حاليا في مناهج مدارسنا، ويمكن القول في النهاية، أنّ المعلم الذي يجهل أبعاد النظرية البنائية ولم يطلع عليها، سيكون حتما جاهلا بأسرار التدريس بالكفايات.

- قائمة المراجع

1. أحمد عيسى داود، زيد سليمان العدوان، النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها في التدريس، مركز ديونو لتعليم التفكير، عمان، الأردن، 2016.
2. أنطون الصّباح، مفاتيح للتعليم والتعلم، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2015.
3. أيوب دخل الله، التعلم ونظرياته، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
4. بيج كليكي، التقييم البنائي في العلوم، ترجمة: جبر بن محمد الجبر، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض، السعودية، 2013.
5. تيموني ج. نيوباي وآخرون، التقنية التعليمية للتعليم والتعلم، ترجمة سارة بنت إبراهيم العريني، دار جامعة الملك سعود للنشر.

6. زهير حسن حسين الحروب، أساليب حديثة في تقويم أداء المعلم، دار غيداء، عمان، الأردن، 2019.
 7. عايش محمود زيتون، الاتجاهات العالمية المعاصرة في مناهج العلوم وتدريسها، كلية العلوم التربوية، دار الشروق، 2010.
 8. عبد الرحيم صالح، ديمقراطية التعليم وإشكالية التسلط والأزمات في المؤسسة الجامعية، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن.
 9. لمياء محمد أيمن خيرى، التعلم النشط، كلية البنات، مدرس المناهج و طرق التدريس، جامعة عين شمس، دار نشر يسطرون.
 10. محمد يوسف القاضي، السلوك التنظيمي، الأكاديميين للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2015.
-